مجلة الباحث للدراسات الأكاديمية
ISSN: 2352-975X ELBAHITH for Academic Studies EISSN: 2588-2368
المجلد: 06 العدد: 01 السنة: 2019 ص ص: 197 - 214 رقم العدد التسلسلي: 15

الهوية العربية وتحديات التعددية الثقافية

Arab Identity And The Challenges Of Multiculturalism

تاريخ الإرسال: 2017/09/21 تاريخ القبول: 2018/12/18

سارة غربي
جامعة باتنة1- الحاج لخضر
srgherbi@gmail.com
أ.د/ مراد بن سعيد(*)
جامعة باتنة1- الحاج لخضر
mourad.bensaid@univ- batna.dz

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى تحليل واستعراض للهوية العربية، من خلال عرض أهم التيارات الفكرية المؤثرة في هذه الهوية، وطرح أهم التحديات الداخلية والخارجية التي تتعرض لها الهوية العربية، خاصة في عصرنا الحالي حيث نجد هناك تداخل بين ما هو داخلي بما هو خارجي. وتوصلت الدراسة إلى ضرورة وجود ضوابط يجب التقيد بها والاعتماد عليها من أجل الخروج من تحديات الهوية العربية، وتم طرح ثلاث عناصر أساسية تتمثل في الاندماج الوطني، الديمقراطية وحوار الحضارات. والنتائج المتوصل إليها تتلخص في ضرورة بذل الجهود من طرف السلطات الرسمية في تكريس الهوية العربية وترسيخ الديمقراطية التوافقية في إطار الاعتراف بالتعدد الثقافي الموجود في البلاد العربية، والمشاركة للجميع وتكريس الحوار والتسامح ونبذ العنصرية والتعصب. في الأخير يجب محاربة الغزو الثقافي الغربي من خلال المحافظة على الكينونة العربية في إطار التكامل العربي.

الكلمات المفتاحية: الهوية العربية، التعددية الثقافية، الإسلام، الاعتراف، الديمقراطية .

Abstract:

This research aims to analyze and review the Arab identity by displaying the most influential intellectual streams in this identity, and puting the most important internal and external challenges faced by the Arab identity, especially in the present era where we find an overlap between what is internal to what is external, The study conclude that there many regulations that must be adhered to control the Arab identity problem. It was put up three basic elements: national integration, democracy and the dialogue of civilizations. The results obtained are summarized in need for efforts by public authorities

(*)- المؤلف المراسل: مراد بن سعيد،
mourad.bensaid@univ-batna.dz

in the consecration of the Arab identity and the consolidation of consensual democracy, within the framework of the recognition of cultural plurality existing in the Arab countries, and participation for all and devoting tolerance and dialogue and the rejection of racism and intolerance. Lastly, we must fight invasion of Western cultural preservation according to the Arab Being in the framework of the Arab integration.

Keywords: Arab Identity; Multiculturalism; Islam; Recognition; Demmocracy.

مقدمة:

لقد كانت ولا تزال قضايا الهوية تمثل تحديا للدول العربية، خصوصا في ظل وجود التعددية الثقافية التي تتميز بها المجتمعات العربية، وهذا ما يجعل الدول تصطدم بوجود مشكلة هويات متعددة، تشكل كل واحدة منها هوية خاصة بها. إن الهوية العربية تعاني من مشكلة هوية أكثر من وجود أزمة هوية. ذلك أن واقع الهوية العربية يبرز لنا وجود تحديات داخلية وخارجية، مما يستوجب اتخاذ القرار من طرف السلطة السياسية للمحافظة على هذه الهوية، وحتى لا تتطور هذه التحديات وتصبح أزمة. يجب على الدول العربية الالتفات إلى التحديات الداخلية من خلال معالجة مشكلة النخب السياسية غير المهتمة بالهوية، بالإضافة إلى ضرورة الاهتمام باللغة العربية التي تعتبر تحديا مهما يجب دراسته والاهتمام به، من خلال ترسيخها والمحافظة عليها، وفي الأخير وجب دراسة التجزئة السياسية الموجودة داخل الدول وفيما بينها، بما يسمح بعدم فسح المجال للدول الغربية الاستعمارية، التي تُعتبر تحديا خارجيا يجب التفات إليه في ظل تنامي ظاهرة العولمة.

ولابد من الاعتراف أن الفكر العربي المعاصر تتجاذبه انتماءات فكرية بين مختلف التيارات، التي أدت إلى بروز صراعات فكرية حول الهوية العربية، هذا الصراع يجب تداركه حتى لا يتأزم الأمر ويصبح تهديدا للهوية العربية. بالإضافة إلى هذه المشاكل هناك مشكل في غاية الأهمية تعاني منه الدول العربية المتمثل في التعددية الثقافية، فالمجتمع العربي يتميز بوجود تعدد ثقافي، وهذا ما يؤدي بالضرورة إلى دراسة هذا التعدد، خاصة في ظل تجاهل النخبة هذا التعدد الثقافي، ومحاولة دمجه فيما يسمى بالهوية الواحدة والوحدة الوطنية، من خلال عدم تجاهل واقعية وجود تعدد واختلاف

EISSN: 2588-2368 _____ ISSN: 2352-975X

داخل المجتمع العربي. وعليه يمكن التساؤل حول سبل معالجة مشكلة الهوية العربية في ظل التحديات الداخلية والخارجية التي تواجه المجتمعات العربية، والسؤال المطروح في هذا المجال هو: إلى أي مدى يمكن للهوية العربية أن تشكّل نموذجا توفيقيا بين خصوصياتها الهوية التي تسمح بأعضائها بالانسجام والعيش المشترط وخصوصيات الهويات الثقافية التي تعمل على تكوين هويات فرعية منافسة داخل الهوية العربية؟.

لقد قامت هذه الدراسة بإتباع مقتربين في دراسة مشكلة الهوية والتعددية الثقافية في الدول العربية، الأول تمثل في مقترب الثقافة السياسية[1]، من خلال المشاركة السياسية لجميع الأطراف، وعدم اقتصارها على هوية دون أخرى، والمساواة والعدل بين مختلف شرائح المجتمع، وترسيخ هذه الثقافة داخله مما يؤدي إلى الانخراط في تجمعات من شأنها إيصال رأي المجتمع للسلطة ومشاركة مختلف الثقافات. والثاني هو مقترب النخبة، من خلال بسط ثقافة الحوار داخل النخبة، وعدم هيمنة هوية على حساب أخرى، باعتبار أن هذه النخبة هي التي تقوم بعملية صنع السياسة العامة، لذا فإن استخدام هذا المقترب يوضح ما إذا كانت هناك أقلية تسيطر على السلطة وتقوم بتهميش الهويات الأخرى أم كناك تكامل ومساواة بين مختلف الثقافات.

لقد قامت هذه الدراسة بتحليل مشكلة الهوية العربية من خلال رصد التحديات الداخلية والخارجية التي تواجهها، ومحاولة إيجاد حلول توفيقية بين مختلف الهويات المتعددة داخل المجتمع العربي. إن البحث في العلاقة بين التعددية الثقافية والهوية يعد واحد من أهم المواضيع التي يمكن من خلالها التعرف على أهم المشاكل الاجتماعية، كالتفكك الاجتماعي والتميز العنصري والنزاع الاثني، من خلال محاولة طرح هذه الانشغالات وصياغة الحلول لها. وعلى العموم تهدف الدراسة إلى:

-1 معرفة الهوية العربية، وتوضيح مقومات هذه الهوية، ومعرفة أهم مبادئ الفكر العربي المعاصر، في ظل وجود تيارات متباينة في الفكر، مما يجعلنا نبرز هذه الأفكار، ودرجة تأثر الهوية العربية بهذه التيارات.

-2 تبيان واقع التعددية الثقافية في العالم العربي، ومحاولة خلق نمط توافقي بين مختلف هذه الثقافات، وضرورة تعايش هذه الثقافات في بوتقة الهوية الواحدة.

EISSN: 2588-2368 _____ ISSN: 2352-975X

-3 إبـراز التحـديات الداخليـة والخارجيـة الـتي تعـاني منهـا الهويـة العربيـة، ومحـاول الخروج من هذه المشـاكل، خاصـة في ظل بـروز العولمـة الـتي تجعل التداخل بـين الهويـة الوطنية والهوية العالمية.

-4 إيجـاد الحلـول للفـوارق الاجتماعيـة والتمييـز بـين الأقليـات مـن خـلال الـتمكين والمشاركة لمختلف الثقافات في وضع السياسات.

أولا: في مفهوم الهوية العربية وأبعادها

من أجل فهم الهوية العربية من الضروري معرفة ما تعنيه هذه الهوية من خلال توضيح مفهومهـا ومعرفـة مقوماتهـا، خاصـة في ظـل وجـود تعـدد وتبـاين فكـري عربـي، ممـا يجعلنا نتطرق لأهم أفكار هـذه التيـارات ومـدى تأثيرهـا علـى الهويـة العربيـة في الماضـي والحاضر. في البداية من المهم معرفة من هم العرب لنصل إلى معرفة هويتهم. نـذكـر تعريف الغـرب لـ "العـرب" تعـرف موسـوعة فرنسـية حديثـة العـرب كالتـالي: العـرب هـم شعب أو إثنية لغتهم اللغة العربية وهي لغة سامية. ويضيف محـرر هـذه الموسـوعة إلى أنـه لا يعتبر من العرب في الماضي والحاضر إلا الأفراد والجماعـات الناطقـة بالعربيـة، والـتي تعترف برابط القرابة مع الجماعات الناطقة بالعربية، والتي لهـا ارتبـاط بالتـاريخ القـديم لشبه الجزيـرة العربيـة[2]. يؤكـد هـذا التعريف أن العـرب شـعب يتميـزون بـتكلم اللغـة العربية، والمنطقة الـتي يسـكنها هـذا الشـعب هـي المنطقـة الـتي يطلق عليهـا اليـوم اسـم "الوطن العربي"[3]. وعليه، يمكـن تعريف العـرب أنهـم جماعـة يقطنـون المنطقـة المسـماة بـالوطن العربـي، لهـم مجموعـة مـن الصـفات، حيـث يشـتركون في اللغـة، الثقافـة والتاريخ، والأرض. إن هوية الإنسـان العربـي تتحـدد وفـق ثـلاث محـددات أساسـية وهـي: اللغة، التاريخ، والأرض، مما يشكل أمة عربية واحدة لها ثوابت خاصة بها تميزها عـن الهويات الأخرى.

بعـد التطـرق لمفهـوم الهويـة العربيـة، بجـدر بنـا توضيـح أن هنـاك وجـود وجهـات نظـر متباينـة حـول مسـالة الهويـة، وذلـك وفـق الصـراع بـين التيـارات الفكريـة الـتي أثـرت في الهوية العربيـة، نـذكـر منهـا: الهويـة القوميـة والهويـة الإسـلامية. حيـث تمثـل أيديولوجيـة القوميـة أهـم ركـائز العصـر الحـديث، إذ لم تـترك أي رؤيـة في العـالم أثرهـا علـى الخريطـة العالميـة مثلمـا فعلـت القوميـة في تحريـك الوجـدان والـوعي بالهويـة. والقوميـة -

EISSN: 2588-2368 _____ ISSN: 2352-975X

كنظرية سياسية وأنثروبولوجية- ترى أن الإنسانية تنقسم طبيعيا إلى مجموعة من الأمم المتميزة، وأن هناك محركات محددة لتحديد ماهية الأمة، وأن لكل أمة حكومة مستقلة تعبر عنها، وبذلك فإن الدول تستمد شرعيتها من احتواء كل منها على أمة واحدة، والعالم لا يكون منتظما بصورة صائبة من وجهة النظر السياسية، إلا إذا شكلت كل أمة من الأمم التي يحويها وبتكون دولة واحدة، فالوحدة والوحدة القومية لابد أن يكونا وفقا لهذه النظرية متطابقتين[4].

بالنسبة للقومية العربية فهي رابطة تاريخية تضم تجمع وتوحد المجموعة السكانية القاطنة في هذه البقعة من العالم، اعتمادا على اللغة والتاريخ والخصائص النفسية والمصالح المشتركة، وهي في مرحلتها الحالية حركة تحرر وطني وتغير حضاري، تهدف إلى توحيد الشعب والطاقات، وتحرير الأرض والإنسان[5]. فاللغة هي روح الأمة ومحور القومية، فاللغة التي ينشأ عليها الإنسان تكيف تفكيره بكيفيات خاصة، كما أنها تؤثر على عواطفه، وكذلك نجد أن وحدة اللغة توجد نوعا من الوحدة في التفكير وفي الشعور وتربط الأفراد بسلسلة من الروابط التي تربط الأفراد والجماعات[6].

إن حركة القومية العربية تضع ضمن أولويات نضالها توحيد الوطن والشعب توحيدا عمليا ونفسيا، من خلال تعبئة الجماهير في النضال من أجل أهداف واضحة ومحددة، وتعميم ثقافة واحدة، وفسح المجال أمام الشعب من أجل المشاركة الفعلية في عملية بناء المجتمع الجديد، ومن أجل إقامة دولة حرة وديمقراطية. وبداية بزوغ فكرة القومية العربية من خلال النضال ضد الإمبراطورية العثمانية المعروفة بتاريخها العدواني، ثم في مقاومة الاستعمار الغربي بعد ذلك[7]. وهنا يجب التمييز بين القومية كحالة والقومية كأيديولوجية تؤمن بها النخبة وتتحمس لها الجماهير، فالقومية كحالة موجودة تعني أن هناك من الروابط القومية كاللغة والثقافة والتاريخ المشترك والرقعة الجغرافية المتصلة، ولكن القومية كفكرة تؤمن بها النخب والجماهير العربية لا شك تأثرت بعدة عوامل، فهناك قطاعات لم تعد تبالي بما يسمى بالقومية أو حتى تناصب هذه الفكرة العداء[8]. وترتكز فكرة القومية العربية على فكرة أمة عربية واحدة، ضمن الوطن العربي، والمناداة بالاستقلال والتحرر ومناهضة الاستعمار. لكن تجدر

EISSN: 2588-2368 _____ ISSN: 2352-975X

الإشارة إلى ضرورة تجديد الفكر القومي في وقتنا الحالي من خلال معالجته قضايا العصر، خاصة فيما يخص التعددية القافية وتهديدات العولمة.

فيما يتعلق بالهوية الإسلامية، فهي تعني الإيمان بعقيدة هذه الأمة والاعتزاز بالانتماء إليها، واحترام قيمها الحضارية والثقافية، وإبراز الشعائر الإسلامية والاعتزاز والتمسك بها، والشعور بالتميز والاستقلالية الفردية والجماعية، والقيام بحق الرسالة وواجب البلاغ والشهادة على الناس. ومصادر الثقافة الإسلامية هي القرآن الكريم والسنة النبوية، باعتبارهما المعين الأساسي للعلوم الإسلامية واللغة العربية، والمرجع الذي يهتدي به المسلم في بحثه عن الحقائق في مجالات المعرفة والوجود والقيم، وفيما يتعلق بالفكر والواقع والنظر والسلوك. أما مقومات الهوية الإسلامية تتمثل في العقيدة الإسلامية كمرجع أول ومصدر أساسي، كون العقيدة الإسلامية المقوم الأهم والأكبر الذي يجمع المسلمين بمختلف الشعوب وقوميات وأمم العالم الأخرى الداخلة في الدين الإسلامي. ومن مقومات الهوية الإسلامية العروبة، واللغة العربية، لغة القرآن الكريم، بالإضافة إلى مقوم التاريخ والتراث، اللذان يعدان أحد أهم المرتكزات الأساسية للهوية الإسلامية.

لقد وازنت الثقافة الإسلامية بين جوانب العقل وجوانب الوجدان، ورفض الإعلاء من شأن العقل على نقيض من النقل، وإعلاء الصوفية للوجدان، وحافظت على المفهوم المتكامل الجامع. كذلك حرصت الثقافة العربية الإسلامية على ارتباطها بالمصدر الأول من القران الكريم والسنة النبوية على مدى مراحلها. فالقرآن الكريم والسنة النبوية يعدان المصدران الأساسيين في تشكيل الهوية الإسلامية، في ظل ذلك ظهرت مجموعة من المفكرين الإسلاميين اللذين ينادون بضرورة الاقتداء وتطبيق المبادئ الإسلامية، فجاءت أفكارهم كرد فعل أمام انتشار الأفكار الصوفية، وغلق الباب أمام الاجتهاد، كذلك ضد الاستعمار الغربي، ومخاطر العولمة، ولمقاومة هذه التحديات برزت حركات إصلاحية، التي ترفض واقع المجتمع الإسلامي الفكري، والسعي الإحياء المبادئ الإسلامية ومن أبرز تلك التيارات التيار الإسلامي.

كما أشرنا سابقا أن الدين الإسلامي هو المرجع الأساسي الأول لتشكل الهوية العربية الإسلامية، ومضمون النهضة الحضارية العربية الإسلامية المنشودة، فأول من

EISSN: 2588-2368 _____ ISSN: 2352-975X

نادى بضرورة إجراء التغيرات والإصلاحات الجذرية والشاملة، وعلى كل المستويات، المصلح الإسلامي الكبير الشيخ جمال الدين الأفغاني، وتلميذه الذي سار على نهجه الإمام محمد عبده[9]. لقد كان الأفغاني يؤمن بقدرة الدين الإسلامي على إخراج الأمة الإسلامية من الأزمة الحضارية التي تعصف بها، إذ يقول: إن الدين هو قوام الأمم وبه علاجها، وفيه سعادتها، وعليه مدارها، وفي عقائده عماد لبناء هيئتها الاجتماعية، وهو أساس محكم لمدينتها، فهو السبب المفرد لسعادة الإنسان[10]. لقد شكل موضوع العلاقة بين الإسلام والقومية العربية أحد الموضوعات الأساسية التي شغلت الفكر العربي المعاصر، خاصة في وقتنا الحاضر نلاحظ بروز حركات تتكلم باسم الإسلام، وتحاول فرض المبادئ الإسلامية، مما أدى إلى نشوء صراع بينها وبين التيارات الأخرى، خاصة التيار القومي الذي يؤكد على ضرورة بناء أمة واحدة في دولة واحدة، وفصل الدين عن الدولة. ما يجب تأكيده اليوم هو محاولة الموازنة بين مختلف التيارات الفكرية في تشكيل الهوية العربية، وعدم محاولة سيطرة تيار وفرض أفكاره على حساب التيارات الأخرى، فالهوية العربية يجب أن تكون جامعة لمختلف التيارات، في إطار الهوية العربية الموحدة.

ثانيا: تحديات الهوية العربية

عند دراسة الهوية العربية يلاحظ خلط في فهم هذه الهوية، حيث ينظر البعض إلى أن الهوية العربية تعاني من وجود أزمة، على خلاف آخرين الذين يرون أن الهوية العربية لا تعاني من أزمة هوية بقدر ما تعاني من مشكلة هوية تتمثل في مجموعة من التحديات التي يجب دراستها، ومحاولة إيجاد حلول مناسبة للخروج من هذه المشكلة.

(1) التحديات الداخلية: إن أهم مشكلة تواجهها الهوية العربية هي مشكلة إخفاق السلطة الحاكمة للمجتمع العربي في التصدي للتحديات، خاصة منها الداخلية ومواجهتها، ويمكن إبراز أهم التحديات التي تواجه الهوية العربية في الآتي:

(أ) النخبة الحاكمة: أن السلطة الحاكمة في الدول العربية تحاول دائما قيادة التيارات الفكرية لما يخدم مصالحها بالدرجة الأولى، في تقوم بتغذية الصراعات بين هذه التيارات بدلا من إيجاد حلول لها. كذلك محاولة إغفال التعدد الثقافي الموجود داخل المجتمع العربي، بل في بعض الأحيان لا تعترف بوجود هذا التنوع، فتتعامل مع

EISSN: 2588-2368 _____ ISSN: 2352-975X

المجتمع على أساس التجانس، والوحدة، وعدم وجود اختلاف. وغالبا ما يحدث إصرار من قبل النخبة على إلحاق الثقافي بالسياسي، بدعوة ضرورة الدمج فيما بينهما، فيترتب عن ذلك أن تصبح الهوية الثقافية تابعة للهوية السياسية وبالتالي أداة للاستخدام السياسي. فكلما رأى أصحاب المصالح ذلك ضروريا. وقد ترتب على ذلك تهميش الهوية وتحميلها أوزار العبث السياسي، مما أعطى الفرصة المناسبة لاعتبارها تسبب أزمة، عوضا من النظر إليها على أنها إحدى نتائجها[11].

بدلا من بحث هذه النخبة في إيجاد حل للتمايز الثقافي أو العرقي أو الديني، الذي يعتبر تعددا وتنوعا إيجابيا وفعالا في إثراء الهوية، إلا أنها تحاول تجاهله والقضاء عليه. إن الأقطار العربية محكومة بقوى تتفرد بالسلطة بصيغتها التسلطية، تقيل المواطنين، وتعمل على إحياء كل ولاءات الماضي ما قبل المجتمعية وانتماءاتهم، كالطائفية والعشائرية والقبلية والاثنية وغيرها، وتحجم عن تأسيس أي إستراتيجية سياسية عربية مشتركة، وتقيم نظامها الثقافي القطري بعيدا عن أي إطار مرجعي قومي. لقد أصبح المناخ العربي يتسم بالأمية، والتخلف، والجهل، مما يسمح بظهور ولاءات وانتماءات لا تصب في خانة تشكيل الهوية العربية، ويولد مشاكل يصعب حلها، مما يتطلب من السلطة الحاكمة الانتباه والالتفات إلى قضايا الهوية خاصة فيما يتعلق بالتعددية الثقافية.

(ب) العروبة والإسلام: هناك من يشير إلى وجود تعارض وتحدي ثقافي بين الإسلام والعروبة، لكن إذا نظرنا إلى الجذور التاريخية بدءا بظهور الإسلام، نرى أن العرب حملوا رسالته وبالإسلام توحدوا وتحت رايته انتشروا في الأرض، وبالإسلام انتشرت العربية وترسخت، وبالعربية وضعت أسس الثقافة العربية الإسلامية وتوسعت وازدهرت[12]. فلم يكن التقابل بين العروبة والإسلام عبر التاريخ تقابلا ذا مضمون ماهوي، ولم تكن ثنائية قطبية على صعيد الهوية، وإنما كانت تفعل فعلها على مستوى الأداة فحسب، أي الأداة التي ينبغي تحريكها للدفاع عن الهوية وحمايتها ضد الاستعمار في فترة من فترات التاريخ(العروبة في مواجهة الاستعمار العثماني، والإسلامية أحيانا في مواجهة الاستعمار العربي) كما يرى الجابري[13]. فأصحاب بعض التيارات خاصة التيار القومي والإسلامي كما ذكرنا في البداية أرادوها أن

EISSN: 2588-2368 _____ ISSN: 2352-975X

تكون حربا وصراعا فيما بينهم، ومحاولة انتصار تيار آخر، خاصة التيار الإسلامي الذي يحاول دائما الانتصار وانصهار التيارات الأخرى في بوتقة الإسلام في وقتنا الحالي، مما يجعل الهوية العربية تواجه تحدي فكري بين مختلف التيارات.

(ج) اللغة: هي مقوم أساسي لأي أمة، وهي جهاز الاجتماع عند الإنسان، وهي الموقع في صياغة وحدة الأمة، فاللغة والأمة أمران متطابقان، ومنه اللغة هي أداة التفكير والتي تبين تحديد المفاهيم والقيم والمعاني[14]. تعتبر اللغة العربية التي تمثل أصل الشعوب العربية أنها عدوا منافسا للحضارة الغربية، وبالتالي المواجهة بين الثقافة الإسلامية والثقافة الغربية. والسؤال الذي يتبادر في أذهاننا هل حاولنا أن تغني هذه اللغة بتحديثها، وإضافة المصطلحات الكثيرة التي يفرضها التقدم العلمي والفكري في العلوم والإنسانيات والاجتماعيات وغيرها؟ هل وضعنا معاجم حديثة شاملة لمصطلحات العلوم وغيرها؟ هل اجتهدنا أو اتجهنا إلى تغريب العربية الفصيحة على العامية التي يشيع استعمالها في حياتنا اليومية؟.

ويؤثر هذا الوضع في الهوية الثقافية خاصة ما يلاحظ اليوم أن معظم الدول العربية تعتمد على اللغة الأجنبية التدريس خاصة العلوم الطبيعية، وفي المؤسسات الرسمية، مما أدى إلى التباهي والتفاخر بتكلم اللغات الأجنبية على حساب اللغة العربية، وهذا ما يستوجب إعادة النظر في المناهج التعليمية وبرمجتها وفق الهوية العربية، وجعلها لغة رسمية في التعامل بها في مختلف المؤسسات.

(د) التجزئة السياسية: لقد عرفت البلاد العربية الوحدة، في فترة الإسلام، حيث جعلت فكرة الوحدة هي الهدف الأساسي لها، وعملت على تجسيد ذلك على أرض الواقع. لكن اليوم تشهد البلاد العربية نوعا من التجزئة والتنافر بين مختلف دولها، بل وجود صراعات داخل وما بين الدول، التي تغذيها الأطراف الخارجية، ومن مصالحها عدم توحد العرب وتكوين كيان سياسي واقتصادي وثقافي موحد. هذه الدول تعاني من وجود تحديات خارجية بالإضافة إلى التحديات الداخلية، مما يستوجب عليها التفكير من جديد في الوحدة والتعاون بين مختلف أقطارها، فتحاول ترسيخ تكوين اتحاد عربي في مختلف المجالات، مثلما فعلت الدول الأوربية. بالإضافة إلى ضرورة

EISSN: 2588-2368 _____ ISSN: 2352-975X

إعادة النظر في العلاقات بين هذه الدول، خاصة أن هذه الدول تعاني من فرض شروط وإملاءات غربية، مما يجعلها تابعة لها في كل المجالات.

(هـ) التاريخ: إن فترات الأزمة تدعوا إلى فحص أعمق للواقع، وهذا ما يستدعي الالتفات إلى جانب مهم من الثقافة العامة هو التاريخ، فإعادة بعث التاريخ ليس الغرض منها العودة إلى فترة من الماضي أو السعي إلى إحياء ظاهرة فيه، بل المراد تحقيق فهم أعمق لمكونات وضعنا وإطلاق طاقات الحاضر. لقد قام بعض الباحثين بدراسة التاريخ كما يوافق أهوائهم، بدلا من التحليل ومحاولة انتقاء الروايات ما يناسب، وقراءة النصوص وكسبها المعنى المراد، لا المعنى الذي تحمله[15].

لا يمكن فهم التاريخ العربي إلا ضمن سياق التاريخ العالمي، خاصة السياق الإمبراطوري الذي يضم حضارات البحر المتوسط القديم، ولهذا يقترح المفكر المغربي عبد الله العروي أربعة أنساق حضارية كبرى لفهم التاريخ العربي، وتتمثل في: الميثولوجيا، الميتافيزيقا، الثيولوجيا، حضارة العلم غير مكتملة بعد[16]. لقد كانت معاملة التاريخ معاملة انتقائية من خلال إهمال وإغفال فترات وحقب تاريخية مهمة، في المقابل الاهتمام والبحث في فترات تاريخية اعتبرت مهمة في التاريخ العربي. يجب البحث في التاريخ بإمعان وفحص دقيق لمختلف الحقب التاريخية، وتحليلها حتى نصل إلى حقائق يمكن أن تساعد في معرفة الماضي والاستفادة منه في الحاضر والمستقبل، خاصة في فترة وجود مشكلات تصادف الهوية العربية.

(و) التعددية الثقافية: إن التعددية الثقافية تمثل تحديا يواجه الدول العربية، فالمجتمعات العربية تضم عربيا وغير عربي، مثل الأكراد في المشرق والبربر في المغرب، كما أنها تضم مسلمين سنة ومسلمين شيعة، وكذلك تضم المسحيين. وتعتبر الهوية المتعددة الثقافات ذات أهمية بالغة، مما يتطلب الاهتمام بها والالتفات إليها، لكن الملاحظ أن السلطات الرسمية في العالم العربي تتجاهل هذا التعدد، فهي لا تقوم بإجادة حلول لمشاكل الأقليات، إلا في حالات نادرة حينما ترى في ذلك تهديدا لسلطتها. حيث نجد السلطة الحاكمة تقوم بالتركيز دائما على الوحدة الوطنية والتجانس على حساب التعددية الثقافية والاختلاف، وتحاول إخفاء حقيقة وجود أقليات عرقية وإثنية. والأكثر من ذلك، أن المشاركة السياسية في هذه الدول حكر

EISSN: 2588-2368 _____ ISSN: 2352-975X

على فئة دون أخرى، وهو ما يستدعي أن تكون المشاركة للجميع دون تمييز بين الثقافات. فمنطق سياسات الهوية ينبغي أن يهتم بكيفية التعامل مع التعدد الثقافي، من خلال إقامة التوازن بين الوحدة الوطنية وحقوق الأقليات، وبين التكامل من ناحية وقبول التعدد الثقافي من ناحية أخرى.

تعاني الدول العربية من مشكلة الهوية والتعدد الثقافي، خاصة في ظل عدم التفات السلطات لهذه المشكلة، وإعطاء حلول ترقيعية بدل أن تكون جذرية وحاسمة. وهو ما أدّى إلى زعزعة استقرار الأمن القومي ومنه الأمن الإنساني، وبروز ما يسمى اليوم بثورات الربيع العربي، وحدوث صراع بين مختلف الأقليات والطوائف، وبين مختلف التيارات الفكرية، وهو ما جعلها عرضة لتدخل الأطراف الخارجية واللعب بورقة الأقليات واستغلالها، وتفتيت الوحدة الوطنية من أجل تمرير مصالحها وسياستها الاستعمارية.

(2) التحديات الخارجية: يمكن حصرها في التحدي الغربي وتحدي العولمة.

(أ) التحدي الغربي: لقد كانت المواجهة مع الغرب في العصر الحديث تعبر عن الرد على التحدي الخارجي الأكبر ذلك الأخذ من الثقافة الغربية طوعا أو فرضها أحيانا، كان هناك خوف على الهوية[17]. فالغرب يرى أن ثقافته وحضارته تمثل التقدم والتطور على خلاف الحضارات الأخرى التي تتميز بالتخلف والتقهقر، مما يستوجب إتباع هذه الحضارة سواء كان إراديا أو عن طريق فرض قواعد ومبادئ دولية ملزمة يجب إتباعها وتطبيقها، خاصة بعد الحرب العالمية الثانية، من خلال بروز تيارين الاشتراكي والرأسمالي الذين يقومان بسياسة الاستقطاب. أما في فترة ما بعد الحرب الباردة محاولة فرض الهوية الأمريكية والهيمنة على العالم وفق ما يسمى اليوم الكوزموبوليتانية العالمية. لكن رغم هذا التحدي لا يمكن تجاهل هوية هذه المجتمعات ووجود تعدد ثقافي داخلها، وان لكل امة ثقافتها ولغتها. هذا ما أدى إلى بروز الحركات الإسلامية والقومية التي تؤكد على ثقافتها، وتحاول إحياء تراثها ومناهضة الاستعمار بأشكاله المختلفة.

(ب) العولمة: تعني الهيمنة اقتصاديا وسياسيا وثقافيا، التي جاءت بوادرها بعد الحرب الباردة في إطار القطب الواحد، وتقوم بالتأثير السلبي على الهوية وسيادة الدولة.

EISSN: 2588-2368 _____ ISSN: 2352-975X

إن أسـاس سـلبيات العولمـة علـى الهويـة الثقافيـة للشـعوب والأفـراد تكمـن فيمـا قالـه "صـامويل هنتنغتون": إن الاعتقـاد بضـرورة تـبني الشـعوب غـير الغربيـة لقـيم ولمؤسسـات ولحضارة غربية لهو أمر غير أخلاقي في نتائجه وتوابعه[18].

علـى المسـتوى الإيـديولوجي تعـني هيمنـة النمـوذج الأمريكـي علـى ثقافـات الأمـم باستهداف الثقافات المحلية والإقليمية بالزوال اعتبـارا أن أخطـر الغـزو الثقـافي التغـريبي ذو التوجـه القـديم والجديـد لازال قائمـا واشـد شراسـة ضـد الهويـة الثقافيـة[19]. وهـذا بالحـد مـن العناصـر الأساسـية للهويـة المتمثلـة أساسـا في اللغـة والـدين والعقيـدة والـتراث الحضاري. فتم ظهور الحرب ضد الدين الإسلامي، والقضاء على الحضـارة في كـل مـا تعنيه لأي شعب من هوية وخصوصية[20]. والخطـورة أن قـوة الإبهـار الـتي تطـرح بهـا هـذه الهويـة الشـمولية ذات المـزاج الغربـي، والأمريكـي تحديـدا، تحجـب رؤيـة الحقـائق علـى الأرض كما هي، مما يؤدي إلى توهم أن هـذه الهويـة المغشوشـة، هـي الهويـة العصـرية، الهويـة الكونيـة، هويـة التحـديث والمدينـة، الهويـة الـتي ينبغـي أن تسـود وتقـود، لا هويـة الجمود[21]. إن العولمة الغربية تقوم بإثـارة المخـاوف مـن الإسـلام واعتبـاره الخطـر الأول، ولا تنسى إن التحدي الإسلامي أكثر التحديات جدية للسيطرة الغربية الثقافية وغيرها منذ انهيار الاتحاد السوفيتي سابقا ولعل الحديث عن صراع الحضارات والحديث عن نهاية التاريخ، يسبران في الخط نفسه[22].

مـن جهـة أخـرى، تحـاول العولمـة طمـس الهويـة المحليـة وفـرض ثقافـة عالميـة واحـدة موسومة بالخاصية الغربية الأمريكية، فمحاولة إلغـاء التعـدد الثقـافي داخـل المجتمعـات يعني إلغاء هوية المجتمعات، وهو ما يؤكـد ضـرورة إعـادة النظـر والتفكـير في المفـاهيم والأفكـار الـتي جاءت بها العولمـة خاصـة فيمـا يتعلـق بالجانـب الثقـافي الهويـاتي. يجـب أن يكـون هـذا التحـدي حـافزا في تقويـة الهويـة الثقافيـة العربيـة، مـن خـلال التصـدي لـه والتفطن لأهم ثغراته ذلك وفق التلاحم والتماسك بين أبناء الأمة العربيـة والحـرص علـى الهوية العربيـة. ولمواجهـة هـذه التحـديات الخارجيـة ضـرورة التصـدي لهـا مـن الـداخل مـن خلال تعزيز الهوية العربية (من لغة وعادات وتقاليد وتراث).

EISSN: 2588-2368 _____ ISSN: 2352-975X

ثالثا: نحو تعزيز الهوية العربية في مواجهة التحديات

لحل مشكلة الهوية العربية يجب التفكير في كيفية مجابهة التحديات ومواجهتها، سواء كانت داخلية أو خارجية، لذلك حاولنا أن نقدم بعض الحلول التي يمكن أن تساهم في حل مشكلة الهوية العربية، وتتمثل في: الاندماج، الديمقراطية وحوار الحضارات.

(1) دور الاندماج الوطني والديمقراطية في الحفاظ على الهوية العربية: إن الاندماج الوطني أو التجانس المجتمعي هو وجود هوية واحدة تحتوي كل الهويات والثقافات الموجودة داخل المجتمع، بمعنى الانصهار في بوتقة الهوية الوطنية. وكما تمت الإشارة إليه، فأن الدول العربية فيها تعدد ثقافي وتنوع قومي وديني قبلي ومذهبي، فمحاولة إقصاء هذا التعدد والتنوع من شأنه خلق الصراع والتجزئة داخل المجتمع، مما يستوجب الاندماج في إطار ديمقراطي يسمح بوجود مساواة وحرية لجميع فئات المجتمع. وللخروج من تحديات الهوية والتعددية الثقافية في البلاد العربية يجب إتباع السبل التالية[23]:

أولا: إدراك أن الأصل هو وجود انقسامات واختلافات داخل المجتمع، مصداقا لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(سورة الحجرات، الآية 13). إن المطلوب هو إعادة توفيق الطبقات والانقسامات، وبالتالي فإن أهم سبل التغلب على مشكلة الهوية هو نشر التعددية الثقافية والديمقراطية، ونشر قيم التحمل والتسامح والنسيان.

ثانيا: الأخذ بمبادئ الديمقراطية وحقوق الإنسان، وضرورة الاعتراف بالتعدد الثقافي وفق تكريس الحرية الفردية في إطار قانوني منظم، يضمن عدم التمييز والمساواة بين الجميع، في ظل الاحترام المتبادل بين مختلف الثقافات.

ثالثا: أن للثقافة السياسية دور في تأسيس الاندماج الاجتماعي، وذلك من خلال غرس السلطة السياسية ثقافة المشاركة للجميع وبالتالي الانخراط في تجمعات، مما يؤدي إلى نقل انشغالات وطموحات المجتمع للسلطة، حتى لا يكون هناك صراع بين السلطة والشعب ومن ثم بناء وحدة وطنية.

EISSN: 2588-2368 _____ ISSN: 2352-975X

رابعا: تنمية الانتماء والتحضر وفق تكوين مشروع قومي تقدم له كل الوسائل والآليات، وتشارك فيه كل المؤسسات المعنية بالدولة والمتطوعون من المجتمع من ذي الانتماءات القومية والعمل العام، إتاحة الفرصة للشباب بالمشاركة في تجمعات هادفة تعطي لأفكارهم فرصة الابتكار، كما أن الاهتمام بثقافتهم وتأهيلهم في دورات ولقاءات مخططة في مجالات هادفة تؤكد أهمية مشاركتهم، وغرس منظومة حقوق وواجبات مشتركة، وأن الوطن وطنهم نتعود مشاركتهم بالنفع عليهم وعلى الوطن.

خامسا: التعاون بين الدول العربية في مختلف الجوانب والمجالات، وضرورة تكريس الجهود بين مختلف الهيئات الرسمية وغير الرسمية خارج إطار الدول الواحدة، وفتح مجال التعاون والتبادل الثقافي بين المشرق العربي والمغرب العربي، من أجل التغلب على المشاكل المشتركة، وإيجاد حلول لها، خاصة في وقتنا الحالي أصبحنا أمام مشاكل عبارة للحدود والقارات.

(2) حوار الحضارات: يمثل حوار الحضارات الخيار الأمثل لمعالجة ما يسمى صراع الحضارات أو صدام الحضارات، لقد جاء هذا الخيار لنبذ كل أشكال العنصرية والتمييز بين مختلف الثقافات، وبروز تيارات وأفكار وأطروحات تحمل في طياتها ضرورة تبني خيار الحوار بدل الصراع.

نجد موضوع التعاون بين الحضارات مطروح على المستوى الدولي، بداية في إعلان الجمعية العامة للأمم المتحدة من سنة 1973 التي كانت مناهضة للعنصرية والتمييز العنصري، وقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة نوفمبر 1998 بجعل عام 2001 سنة الأمم المتحدة للحوار بين الحضارات، وقرار مؤتمر القمة الإسلامي في دورته العاشرة بماليزيا أكتوبر 2003 الخاص بالإعلان العالمي للحوار بين الحضارات وإسهام العالم الإسلامي في الأنشطة الدولية حول الحوار بين الحضارات[24].

لقد أقامت دول عديدة غربية وشرقية المؤتمرات والحوارات من أجل التعايش الحضاري بين المسلمين والمسيحيين وبقية الطوائف الدينية، فكانت فيينا محطة مؤتمرات عديدة أهمها مبادرة عام 2002 بعنوان الحوار بين الحضارات، ومؤتمر الإسلام في عالم متعدد في فينا سبتمبر 2005 وسبق في ذلك جهود مماثلة من الدول العربية منها: عهد قرطاج للتسامح عام 1990، ونداء تونس من أحل الحوار بين

EISSN: 2588-2368 _____ ISSN: 2352-975X

الحضارات عام 2001، والندوة الدولية حول الحضارات والثقافات الإنسانية: من الحوار إلى التحالف التي عقدتها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو بتونس في فيفري 2006.

وبشكل عام أكدت هذه المؤتمرات على تعزيز الحوار بين الثقافات، والتسامح ونبذ التميز العنصري، لكن في الواقع مازال العالم يعيش صراع وتصادم بين الثقافات والحضارات خاصة في البلاد العربية، لذلك ضرورة بذل جهود وطنية ودولية من أجل تطبيق هذه المبادئ على أرض الواقع ولا تبقى مجرد شعرات فقط، ويجب ترسيخ هذا الحوار بين مختلف شرائح المجتمع، والتأكيد على ضرورته داخل الدولة وفيما بين الدول.

خاتمة

في ختام هذه الدراسة، يمكن القول أن الهوية العربية تواجه تحديات داخلية وخارجية عددية تحتم عليها السعي لتجاوزها والتكيف معها. وأهم إجراء وجب القيام به هو إعادة تحديد مفهوم الهوية، حيث أنه يتَّسم بقدر كبير من السيولة، ومن الإشكاليات التي تخصَّ الموضوعات الحيوية المرتبطة بها، مثل اللغة، الثقافة، الدين، التاريخ...الخ. وفضلا عن طابعها المركَّب. كذلك يجب الاهتمام بالسياق التاريخي في التعاطي مع مسألة الهوية كمدخل لفهمها وضبط مسارها وتجلياتها عبر هذا التاريخ، وكذلك تحليل قضية الهوية في إطارها المعولم، بحيث أن مشكلة الهوية هي مشكلة كونية لا تقتصر على المنطقة العربية، ولكنها مشكلة تشهد نفس العوائق والتطورات في مختلف بلدان العالم.

ويُعتبر بروز مطلب الهويات الفرعية ظاهرة عالمية تشهدها الدول العربية على نحو مختلف، ويقتضي منها التعامل معها وفقاً لمبدأ الشراكة باعتبار تنوُّعها مصدرا للغنى، لا باعتبارها تهديدا أو مصدرا للقلق، ما يستدعي التصدي لخطابات وممارسات الإقصاء والتهميش، ومن ثم العمل على إصدار التشريعات والأخذ بالسياسات التكاملية في شتى أرجاء الوطن العربَي وفي مختلف المجالات. ونخلص مما سبق إلى أن الأمر يقتضي بذل الجهود من جميع الأطراف من خلال مراجعة مشكلة

EISSN: 2588-2368 _____ ISSN: 2352-975X

الهوية العربية والتعددية الثقافية في العالم العربي. والنقاط التالية هي من بين النقاط المفيد أخذها بعين الاعتبار أثناء دراسة الهوية العربية:

- ضرورة تجاوز الصراع والتصادم بين التيارات الفكرية خاصة التيار الإسلامي والتيار القومي، والاهتمام بقراءة الواقع ومحاولة إيجاد حلول للتخلف بكل مستوياته السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية الذي تعيش فيه المجتمعات العربية.

- ضرورة المحافظة على الهوية والكينونة العربية في إطار التكامل، والاستفادة من مقومات العولمة في إطارها الايجابي خاصة في المجال التكنولوجي والعمل على دعم الهوية الوطنية.

- العمل على بذل الجهود في إنشاء ما يسمى بالوطن العربي من خلال الاتحاد والتوحد والعمل المشترك بين مختلف هذه الدول من أجل التصدي للتحدي الغربي خاصة الأمريكي والصهيوني الذي يحاول دائما زعزعة استقرار المنطقة العربية.

- ترسيخ مبدأ الديمقراطية التوافقية داخل الدول العربية من خلال نبذ الأنظمة الاستبدادية والإطاحة بها، وهذا لفتح المجال أمام مشاركة ومساواة جميع الهويات الثقافية.

- من أجل الحفاظ على الهوية العربية التي تعاني من غزو ثقافي غربي يجب العمل على تكريس الهوية العربية خاصة اللغة العربية في مناهج التعليم في مختلف الأطوار، من الأسرة حتى الجامعة وجعلها لغة رسمية يجب تداولها في جميع المؤسسات.

- الاهتمام بالتاريخ العربي وتقصي الحقائق حوله، لأنه يلاحظ إهمال حقب تاريخية مهمة جدا في تكوين الهوية العربية، فمن أجل فهم الحاضر واستشراف المستقبل يجب معرفة الماضي والتدقيق في فتراته المتعاقبة.

- إن التعددية الثقافية واقعة حقيقية في العالم العربي لا يجب طمسها أو تجاهلها، بل يجب الاعتراف ببعضها بما يتوافق مع الخلفية الإسلامية والمعطيات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

- وضع سياسات الهوية من طرف السلطة السياسية في إطار التعدد الثقافي الذي يبنى على أساس المساواة بين الثقافات المختلفة في المجتمع حتى لا تكون هناك ثقافة واحدة مسيطرة.

EISSN: 2588-2368 _____ ISSN: 2352-975X

- ضرورة تكريس الحوار والتسامح ونبذ التعصب والعنصرية داخل المجتمع العربي، من خلال التوعية داخل الأسر والمدارس والمساجد والجامعات ومختلف المؤسسات الرسمية وغير الرسمية.

الهوامش:

(1)- يعتبر غابرييل ألموند من أوائل من أدخل مفهوم الثقافة السياسية في الديراسات السياسية، حيث عرف ألموند وسيدني فيربا الثقافة السياسية بأنها مجموع التوجهات والمواقف والتصورات السياسية للأفراد في سياق علاقاتهم بنظمهم السياسية. للمزيد من الاطلاع راجع:
Gabriel, A, Sidney, V, The Civic Culture: Political Attitudes and Democracy in Five Nation, Princeton New Jersey, Princeton University Press, 3, p 14

(2)- أحمد بعلبكي، الهوية وقضياها في الوعي العربي المعاصر، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، نوفمبر 2013، ص 27

(3)- عبير بسيوني رضوان، أزمة الهوية والثورة على الدولة: في غياب المواطنة وبروز الطائفية، القاهرة، دار السلام، 2، ص 99

(4)- ربيع محمد مقلد، إسماعيل صبري، موسوعة العلوم السياسية، الكويت، جامعة الكويت، 1994، ص 404

(5)- أحمد بعلبكي، المرجع السابق، ص 68

(6)- ساطع الحصري، أبحاث مختارة في القومية العربية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1985، ص 36

(7)- أحمد بعلبكي، المرجع السابق، ص ص 81-82

(8)- عبير بسيوني، المرجع السابق، ص 102.

(9)- محمد عمارة، الإسلام وقضايا العصر، بيروت، دار الوحدة، ط1، 1980، ص ص 31-42

(10)- محمد عمارة، الأعمال الكاملة للشيخ جمال الدين الأفغاني: دراسة وتحقيق، القاهرة، دار الكتاب العربي، 9، ص 131

(11)- حامد خليل، مشكلة الهوية في الفكر العربي المعاصر، مجلة الفكر السياسي، العدد 02، ربيع 1998، ص 93

(12)- أحمد بعلبكي، المرجع السابق، ص 242

(13)- حامد خليل، المرجع السابق، ص 93

(14)- أسعد السحمراني، ويلات العولمة على الدين واللغة والثقافة، بيروت، دار النفائس، ط1، 2002، ص 87

(15)- أحمد بعلبكي، المرجع السابق، ص 243

EISSN: 2588-2368 _____ ISSN: 2352-975X

(16)- إسماعيل مهنانة، العرب ومسألة الاختلاف: مآزق الهوية والأصل والنسيان، الرباط، دار الأمان، ط1، 2014، ص 33

(17)- أحمد بعلبكي، المرجع السابق، ص 236

(18)- مراد هوفمان، الإسلام في الألفية الثالثة: ديانة في الصعود، الرياض، مكتبة العكبيات، ط1، 2003، ص 19

(19)- محمد بن سمينة، العولمة وأثرها على الثقافة الإسلامية في الجزائر، مجلة الثقافة الإسلامية، العدد الثاني، 2006، ص ص 79-80

(20)- محمد زغو، أثر العولمة على الهوية الثقافية للأفراد والشعوب، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد الرابع، 2010، ص 97

(21)- عبير بسيوني، المرجع السابق، ص 108

(22)- أحمد بعلبكي، المرجع السابق، ص 236

(23)- عبير بسيوني، المرجع السابق، ص 170

(24)- الشرق الأوسط، تحالف الحضارات أحد الخيارات المثلى لمعالجة الانعكاسات السلبية للعولمة، الشرق الأوسط، العدد 9936، الجمعة 11 محرم 1427 هـ الموافق لـ: 10 فبراير 2006
http://archive.aawsat.com/details.asp?issueno=6&article=#.V2U- C9KLRdg

EISSN: 2588-2368 _____ ISSN: 2352-975X